## مهمات وأصول في

# الحياة الزوجية

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرملي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

# مهمات وأصول في الحياة الزوجية

للشيخ

د. سعيد بن سالم الدرمكي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار.

أحمد الله -عز وجل- أن يسر لنا هذا اللقاء في بيتٍ من بيوته في الدنيا، كما أسأله -سبحانه وتعالى- أن ييسر لنا الاجتماع في الفردوس الأعلى في جنته -سبحانه وتعالى- إنه على كل شيءٍ قدير.

حديثنا اليوم حول أمرٍ يحتاجه كل أحد، ألا وهو: الحديث عن الأسرة، وعن الزواج، واختير له عنوان "مهمات وأصول في الحياة الزوجية"

ولا نعني بالأصول هنا ما هو معروف في أصول الفقه وفي القواعد الفقهية الأمور الكلية التي تنطبق أحكامها على جميع الفروع، وإنما هي أمورٌ مهمة يحتاج أن نتذكرها، ونذكّر بها أنفسنا، ونذكّر بها غيرنا في تعاملنا مع أزواجنا .

ربُّ العالمين -سبحانه وتعالى- لما خلق آدم خَلَق معه من؟ حواء، فكانت بداية هذا الكون بأسرة، ومن آدم ومن حواء -عليهما الصلاة والسلام- تناسل الناس، يقول الله -سبحانه وتعالى-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١].

وكان سلفنا ومن كان قبلهم من الأنبياء والصالحين يدعون الله -سبحانه وتعالى- بالذرية الطيبة، وبالزوجات الصالحات، يقول الله -سبحانه وتعالى- ذاكرًا صفات عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان:٧٤].

ولعظم شأن الأسرة، اهتم الله -سبحانه وتعالى- بذكر أحكامها في القرآن الكريم، وبيان تفاصيل أحكام الأسرة، بدءً من الرغبة في الزواج والخطبة، وانتهاء من الرغبة بالفراق من الزواج، إما بطلاقٍ، أو موت، بل سورة كاملة في القرآن عُنون لها بسورة الطلاق، وهذا يدلنا على اهتمام الإسلام بالأسرة اهتمامًا بالغًا، فكان ولابد من التذكير ببعض هذه المهمات التي ذكرها الله -عز وجل- في كتابه وبينها النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته الفعلية والقولية.

## الأصل الأول: أهمية الأسرة أهمية الحياة الزوجية للزوجين وللمجتمع وللدولة.

يقول الله -سبحانه وتعالى-: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[الروم:٢١]، من آياته أي: من العلامات الدالة على قدرة الله -سبحانه وتعالى-، وعلى حكمته، وأنه خبيرٌ بعباده أنْ خلق لنا من أنفسنا،

من بني جنسنا أزواجًا، ما الحكمة من هذا الخلق؟ قال تعالى: {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}[الروم:٢١]، فالنفس لا تسكن إلا لمن فَطَر الله -عز وجل- النفس عليها.

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} كلمة السكن عندما نستمع إلى هذه اللفظة ماذا تعني؟ وعلى ماذا توحي؟و ما المعاني التي تحملها لفظة {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}؟ تأملوا معي استعمال هذه اللفظة في القرآن الكريم .

رب العالمين -سبحانه وتعالى- يقول: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ}[يونس:٦٧]، وقال: {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا}[الأنعام:٩٦].

السكن راحة، طمأنينة، السكينة، الأمن، الاستقرار، كل هذه المعاني موجودة في معنى السكن، وهي موجودة كذلك في معنى الزواج، فالرجل يسعد بزوجته ويأنس إليها، ويطمئن إليها، ويفرح بها؛ ولذلك يُقال: إن للإنسان ثلاث ليالي:

أول ليلة يُولد فيها في الدنيا.

وأول ليلة يدخل فيها على زوجته.

وأول ليلة في قبره.

هذه من الليالي المشهودة بالنسبة للرجل وبالنسبة للمرأة.

والرجل مهما شرّق أو غرّب لا يجد الطمأنينة والراحة إلا في سكنه، وكذلك لا يجد الرجل سعادته وطمأنينة إلا مع امرأته، ولا المرأة تجد سعادتها وطمأنينتها إلا مع الزوج، ولذلك نجد الرجل أول ما يعمل، ويكون عنده راتب تجده أن أول شيء يفكر فيه الزوجة، بعض الشباب يفكر في السيارة، ثم يقول: بعد السيارة الزوجة، والتفكير أولًا في الزوجة شيء فطري.

كذلك المرأة إذا بلغت سن العشرين، يبدأ أهلها يترقبون الخاطب مع أنها ستغادرهم، وتغادر بيتهم الذي نشأت فيه، لكن الفطرة داعية إلى هذا الأمر، ونجد الأب والأم يعلّمون البنت طريقة التعامل مع الزوج، يقولون: افعلي كذا حتى إذا تزوجتي تكونين كذا وكذا، وإذا لم يأتها خاطب إلى سن قريب الثلاثين يشغلهم الأمر، ويفكرون في طريقة لعل الله -عز

وجل- أن يُرسل لهم خاطبًا، فهذا الأمر أمر فطري بين الرجل والمرأة، فالمرأة لا تسعد إلا مع زوج، والرجل لا يسعد إلا مع زوجة، ففي كلا الطرفين الأمن والسعادة والطمأنينة، وتأملوا معي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في غار حراء لما نزل عليه الوحي وكم كان عمره؟ أربعون عامًا، وينزل عليه الوحي ورأى جبريل -عليه الصلاة والسلام-.

ويخرج من الغار خائفًا وجلًا، المفروض وفق المنطق أين يذهب؟ يذهب إلى عمه، يذهب إلى الرجال، ويخبرهم: حصل لي كذا وكذا، فلم يذهب لهم، وإنما ذهب إلى زوجه خديجة --رضي الله عنها--؛ لأنها هي مأمن سره، وهي التي ستقوم بطمأنته والاهتمام بهذا الخوف الذي فيه، وهذا يعلمنا أهمية المرأة، وأهمية الزوجة للرجل، وأهمية الرجل للزوجة كذلك.

لذلك كان الزواج نعمة، قال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}[الروم:٢١].

جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: « لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ أَيْمَتُهَا بَيْنَ أَبَوَيْهَا وَتَعْنُسَ ، فَيَرْزُقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ زَوْجًا ، وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ مَالًا وَوَلَدًا »[1] فسمّى الزوجة والولد رزقًا، هذه التي تسكن إليه {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}[الروم:٢١].

انظروا إلى عجيب قدرة الله -سبحانه وتعالى- هذا الزوج لم يكن يعرف هذه المرأة من قبل، وإنما خطبتها أمه، ونظر لها بما يُسمى "بالنظرة الشرعية" في دقائق، ثم تم العقد، وبعد العقد أتت المودة والرحمة التي تكون بينهما من غير سابق لقاء ولا تعارف، فصارت من أقوى الروابط في العالم بين هذين الشخصين.

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله- في بيان أسباب المودة والرحمة التي تكون بين الزوجين يقول: **"بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة، فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد**

(١) أخرجه أبو داود حديث: ٥٢٠٤

**وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحدٍ في الغالب مثل ما بين الـزوجين من المودة والرحمة"** انتهى كلامه رحمه الله.

**ومن أهمية الزواج بالنسبة للزوج:** أنه من أكبر أسباب غض البصر، وقد أمرك ربك -سبحانه وتعالى- بغض بصرك، قـال الله -سـبحانه وتعـالى-: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَـى لَهُـمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: ٣٠].

**والزواج من أسباب حفظ الفرج**، وهو للـزوج وللزوجـة، يقـول الله -سبحانه وتعالى- في صفات عبـاد الله المفلحـين: {قَـدْ أَفْلَـحَ الْمُؤْمِنُـونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُـونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِـكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون: ١-٧].

ثم ذكر صفات أخرى فقال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون:١٠-١١].

فأنت بزواجك من هذه المرأة، تحقق لنفسك صفة من صفات أهل الفلاح، ومن صفات أهل الجنة وهي: حفظ الفرج، وسُئل -صلى الله عليه وسلم- عن أكثر سببٍ يدخل الناس النار فقال: «اللسان والفرج» وقال -صلى الله عليه وسلم-: « مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ » أي: اللسان، « وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ » أي: الفرج « ضَمِنْتُ لَهُ الْجَنَّةَ »(١).

فمن فوائد الزواج أنه من أسباب حفظ الفرج، وغض البصر وهذا من أسباب بلوغك الجنة بإذن الله والنجاة من النار، وهذا الأمر يشترك فيه الزوج والزوجة

وقد جمع النبي -صلى الله عليه وسلم- هذين المقصدين في حديثٍ واحد، فقال -صلى الله عليه وسلم: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ »(٢).

---

(١) أخرجه أبو يعلى حديث:١٨٥٥

(٢) أخرجه البخاري حديث:١٩٠٥ ومسلم حديث:١٤٠٠

فهل يقتصر الترغيب هذا على الشباب أم يشمل كبار السن أيضًا؟

نعم، يشمل حتى كبار السن ممن لديه القدرة.

والدراسات الحديثة أثبتت أن الرجل إن كان كبيرًا في السن وتزوّج، فإن الزواج من الأمور التي تجدد نشاطه وقوته.

ومن الأخطاء حقيقةً التي نراها في المجتمع، أنه إذا ماتت زوجة الرجل وقد بلغ من العمر عتيًا، فإن أبناؤه قد يمنعونه من الزواج، وهذا خطأ وربما يقعون في العقوق بسبب ذلك، فإن الرجل في مثل هذا العمر يحتاج إلى امرأةً تهتم به، وتهتم بكبر سنه، وبما يحتاجه، خصوصًا الرجل إذا أصابه الكبر تكثر عليه الأمراض فيحتاج من يداويه، ومن يهتم بعلاجه، وبصحته وعافيته، ولن يفعل ذلك الأبناء، وبعضهم للأسف يأتي بعامل من جنسية آسيوية يهتم بوالده، أو بامرأةٍ تهتم بطبخه ولباسه، والأولى أن يتزوج بامرأةٍ تقوم عليه وعلى شؤونه، وهذا فيه تقوية له، وتجديد لحياته.

## ومن فوائد الزواج للزوج: أنه من خير متاع الدنيا له.

قال -صلى الله عليه وسلم-: « الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ »[١] لماذا؟ لأنها تعينه على أمر دينه ودنياه، قال -صلى الله عليه وسلم-: « مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي »[٢] .

والزوجة كذلك من أسباب السعادة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ : الْجَارُ السُّوءُ ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ » [٣]

---

(١) أخرجه مسلم حديث: ١٤٦٧

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" حديث:٢٦٩٦

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" حديث:٤٠٣٢

**ومن فوائد الزواج للزوج وللزوجة: حصول الولد والذرية**

والولد من زينة الحياة الدنيا كما أخبر الله -سبحانه وتعالى-: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٤٦].

وقال -عز وجل-: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} [النحل:٧٢].

**ومن فوائد الزواج للمرأة: أن الزواج للمرأة من أسباب دخولها الجنة.**

وقد أعطيت المرأة هذا الفضل، ولم يعطه الرجل بمثل ما أعطيت المرأة، قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا ، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ»(١).

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" حديث:٤١٦٣

أربعة أمور إذا طبقتها المرأة وجاهدت نفسها عليها كان ذلك من أسباب رضا الله -سبحانه وتعالى- عليها، لماذا قلنا: وجاهدت نفسها عليها؟ لأنها ليست سهلة.

والجنة حُفّت بالمكاره، إذًا هذه الأربع تحتاج إلى جهاد نفس، كما في الصلاة والصوم، لما يأتي المرأة من عادةٍ ودورة فتحتاج أن تهتم بطهارتها، وتحتاج أن تقضي صيام رمضان الذي فاتها بسبب العذر الشرعي، وربما ولدت في رمضان فتفطره كله، وتحتاج أن تقضيه كله.

«وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا» بحجابها الشرعي، وابتعدت عن التبرج، وابتعدت عن الفحشاء.

قال: «وأطاعت زوجها» وطاعة الزوج ليست بسهلة، غالب مشاكل الأزواج في أمر الطاعة، وذلك لاختلاف الطبائع، واختلاف الثقافات، فلابد أن توطّن المرأة نفسها على طاعة هذا الرجل في المعروف، ولما جاءت تلكم المرأة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وسألها فقال: « أَذَاتُ بَعْلٍ أَنْتِ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : كَيْفَ أَنْتِ لَهُ ؟ قَالَتْ : مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ ، قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ ؟ فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ »[١].

فالمرأة إذا أرادت طاعة ربها -سبحانه وتعالى- فلتتقرّب إليه بطاعة زوجها في المعروف.

ونحن دائمًا نقول للنساء: أنتِ لما تطيعين زوجكِ لا تطيعينه لجمال وجهه ولا لسواد عينيه، وإنما تطيعينه وأنه متقربة بهذا الفعل لله، وجاء في بعض الآثار والأحاديث التي صححها الشيخ الألباني وغيره «لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا »[٢].

إذًا الأصل الأول: أهمية الحياة الزوجية للزوجين والمجتمع والدول.

المجتمعات عبارة عن أسر، وصلاح الأسرة يؤدي لزومًا إلى صلاح المجتمع، وصلاح المجتمعات يؤدي لزومًا إلى قوة الدولة.

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" حديث:٢٧٨٥

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" حديث:٤١٧١

الدولة تحتاج إلى رجال تقوم على سواعدهم، ومصنع الرجال الحقيقي هي الأسرة، المصنع الذي يؤهل الرجال، ويؤهل النساء تربيةً، وتعليمًا، وزرعًا للقيم، وحبًا للدولة إنما هي الأسرة، فمتى ما كانت الأسرة صالحة أخرجت نشأً صالحًا.

**أما الأصل الثاني الذي لا بد أن يتنبه له كلٌ من الزوج والزوجة: أن الحياة الزوجية تقوم على أسسٍ وحقوقٍ وواجباتٍ.**

وهذه الأسس والواجبات والحقوق لابد من تحقيقها لتدوم الأسرة وتستمر، ويسودها المودة والرحمة.

قال الله -سبحانه وتعالى- مبينًا هذا الأصل: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}[البقرة:٢٢٨]، لهن من الحقوق مثل الذي عليهن، فالمرأة عليها واجبات تجاه زوجها، هي الحقوق لزوجها، والرجل عليه تجاه زوجته هي من الحقوق لزوجته.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد بين هذه الحقوق، وأشار إليها في أعظم المواقف، وفي أعظم الخطب، ومن ذلك ما جاء في خطبة عرفة، أشار النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ذلك فقال: « فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ »(١).

وهذه الحقوق والواجبات سنُسأل عنها يوم القيامة، ليست فقط محل السؤال القضائي أمام القضاء، وإنما محل السؤال يوم القيامة، فتُسأل عنها بين يدي الله -سبحانه وتعالى-، فإن ظَلمتَ المرأة في حقوقها فستأخذ حقها منك في يومٍ لا ينفعك فيه مال ولا ولد، تفرّ منك الزوجة وتطالبك بحقها {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[عبس:٣٤-٣٧]، ستطالبك بحقوقها التي ظلمتها فيه.

(١) أخرجه البخاري حديث:١٥٥٧

والرجل إذا ظَلَمتْه زوجته في حقوقه فسيأخذها في ذلكم اليوم، والخلل في هذه الواجبات سببٌ للخلل في الحياة الزوجية ولا بد.

ومن نظر إلى الخلاف الزوجي وتأمله، فيجد أن الخلاف من أسبابه: عدم أداء الواجب المكلف به الزوج أو الزوجة، وأعطيكم مثال وهذا من الأمثلة المنتشرة التي تسبب في الخلاف بين الزوجين "موضوع النفقة الزوجية"، النفقة على من؟ على الزوج.

ورب العالمين -سبحانه وتعالى- لما قرر هذا الأمر ربطه بأمر مهم جدًا في الأسرة، وهو القوامة في المنزل، فالقوامة في الأسرة مربوطة بالنفقة، قال الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}[النساء:٣٤].

فكون الرجل لا ينفق من أسباب سحب القوامة عنه، نحن دائمًا في أمورنا الدنيوية كما في جهة العمل التي تعمل فيها إذا لم تُعطَ راتب هل ستأتي للدوام الساعة ٥ , ٧؟

أنت متطوع تعتبر في هذه الحالة، متى ما تأتي أتيت، لو أمرك بأمر وأنت مشغول فليس عندك وقت تعمله، تعمله له؟ تقول: اعذريني ما عندي وقت سأفعله بعد أسبوع، أسبوع، لماذا؟ لأن المنطق يقول: أن الذي يدفع هو الذي يسيطر، هو الذي تكون له الكلمة المسموعة، طيب إذا أردت الخروج من جهة عملك وأنت عندك مسؤول تستلم راتب في آخر الشهر، وقال لك: المسؤول ما تخرج، إن خرجت نخصم راتبك تخرج؟ لا تخرج، لماذا؟ لأن الأمر فيه نفقة، فيه مال سيقتطع منك.

كذلك في أمور الحياة الزوجية، والله رأيناها رأي العين، بعض الزوجات تعمل وعندها راتب، فتتفق مع الزوج على أنها تتحمل نفقة نفسها، نفقات البيت علي، أنت عليك ديون، والله ييسر لك أمرك ويعينك، طيب وأنا بسد نفسي فترة، ثم تبدأ القوامة تُسحب من تحت قدمي الزوج شيئًا فشيئًا فيستغرب الزوج، يأمر ما أحد يستجيب له، يطلب ما أحد ينفذ له، تبدأ المرأة في النشوز؛ فلما يأتي ويسأل ويذكر لنا موضوع النفقة، نقول له: هذا أمر طبيعي.

اليوم جاءني شخص استوقفني بعد صلاة الظهر يقول: يا أخي عندي زوجتي، متزوج من ١٤ سنة، ولا تسمع ولا تطيعني ودائمًا تخالفني وتوجد بيننا مشاكل، فقلت له: يا أخي الفاضل أسألك، من الذي ينفق في البيت؟ قال: أنا راتبي أقل من ١٠,٠٠٠ دراهم، وهي راتبها ٣٠,٠٠٠ درهم، فهي سادة نفسها والبيت، قلت: هذا السبب، قال: فعلًا هي قالت لي مرة، قال: كيف أنا أطيعك وأنت ما تدفع شيء؟

لذلك التقصير في واجب من الواجبات يؤدي إلى حصول مشكلة ولابد، طيب لو قال قائل: هي تعمل وعندها راتبها؟

نقول: ولو كانت تعمل وعندها راتب، هي ستساعد في البيت جزاها الله خير، هذا من فضل الله عليك فيها، ومن كرمها، ومن طيبها، لكن لا تكن لئيمًا، كن إذا أكرمت الكريم ملكته، أنت المسؤول الأول في البيت وهي مساند، فإن ساندتك فاحفظ لها الجميل، ورده لها متى ما استطعت، لا أن تعتمد عليها اعتمادًا كليًا، وبعض الرجال هداهم الله يعتمد على راتب

زوجته كليًا، وهذا ليس بصواب، وربما أجبرها أن تسدد ديونه، وأن تنفق على أولاده، ثم بعد ذلك يشتكي من نشوزها.

كذلك لو أن المرأة أخلّت بجانب الطاعة، فتحدث مشكلة بين الأزواج ولا بد، ما الحل؟

الحل أن يقوم كلٌ بواجبه، فتنتهي المشكلة.

إذًا لا بد أن يقوم كل واحدٍ من الزوجين بأداء الواجبات المنوطة به حتى تستمر هذه الحياة، وللعلم هذه الواجبات شرعية موضوعة من قِبَلِ رب العالمين -سبحانه وتعالى-، فنعلم علم اليقين أنها هي سبب للبركة في الزواج واستمرارية الزواج.

**الأصل الثالث الذي أشار الله -عز وجل- إليه في القرآن قوله -سبحانه وتعالى- آمرًا الرجال:** {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء:١٩].

ما معنى وعاشروهن بالمعروف؟ أي: عامل زوجتك كما تحب أن تعاملك، عاملها بمحاسن الأخلاق، وبكريم الصفات والسجايا كما تحبها أن تعاملك، وكما تحب من زوج ابنتك أن يعامل ابنتك، وكما تحب من زوج أختك أن يعامل أختك، عامل زوجتك بالعشرة بالمعروف، بحسن القول، بحسن الفعل، بحسن الرعاية.

يقول -عز وجل- : {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ}[النساء:١٩]،ماذا تفعل تطلقها؟ لا، قال: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩]، لا تستعجل في طلاق زوجتك.

واليوم منتشر عند كثير من الناس يقول لك: والله متأثرين بالأفلام، والمسلسلات، أنا لا أجد الحب في الزواج وقد تزوجتها ولا أجد راحةً أو انشراحًا في القلب تجاهها، هذه الآية علاج لما تذكر، قال: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ} ماذا تفعل؟ {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}[النساء:١٩].

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا »[١] استوصي بالمرأة خيرًا، يأمرك بهذا، وهذا يقتضي منك حسن العشرة، وحسن العشرة إذا أردتها انظر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته مع زوجاته، كيف كان معهن، وكيف أنه قال: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي »[٢] فمعاملتك الحسنة لزوجتك من أسباب الخيرية، ومن أسباب نيل الخيرية.

لكن يحتاج الأمر إلى صبر في التعامل، النبي -صلى الله عليه وسلم- سُئل من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» وهذا من حسن العشرة أن تظهر لها الترفق في الكلام، في القول، بإظهار المحبة والشوق لها، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يدخل على نسائه ويسلمن عليهن ويسأل عليهن ويمازحهن، خرج مع عائشة مرة -رضي الله عنها-- وقال للجيش تقدموا، فقال: انزلي تعالي أسابقكِ، فسابقها فسابقته، وتمر السنين، وتخرج معه فقال لها: تعالي أسابقك فسابقها فسبقها فقال: هذه بتلك.

---

(١) أخرجه البخاري حديث:٥١٨٥

(٢) أخرجه ابن حبان حديث:٣٠١٨

يأتي الأحباش في المسجد يلعبون، قال: تشتهين تنظرين؟ قالت: نعم، قال: فجئت على ظهري من الخلف فوضعت خدي على خده قال: اكتفيتي؟ قالت: لا، وهي لا تريد أن تنظر، فقط تريد أن تبقى على هذا الوضع وخدها على خد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وتجلس بعد صلاة العشاء بالليل تسامر النبي -صلى الله عليه وسلم- فتحدثه عن قصة إحدى عشر امرأة من نساء الجاهلية حديث أم زرع وأبي زرع، فقط لتسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- كلمة طيبة «أنا لكِ كأبي زرعٍ لأم زرع»(١) ويستمع لها النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ما سب امرأةً قط، ولا ضرب امرأةً قط، بل تحصل خصومة بين زوجاته فكان يتعامل بأسلوبٍ راقٍ ينصح، ويعظ، وهجر -صلى الله عليه وسلم-، بل حتى التهديد بالطلاق ما هدد -صلى الله عليه وسلم- بالطلاق، هددهن الله -سبحانه وتعالى- سورة التحريم {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ} [التحريم:١]، ثم قال الله: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحريم:٥].

---

(١) أخرجه البخاري حديث:٥١٨٩ ومسلم حديث:٢٤٤٨

ولما طالبن بزيادة النفقة هجرهن كلهن، وأنزل الله التخيير في سورة الأحزاب تردن الله ورسوله ولا تردن الحياة الدنيا وزينتها؟ اخترن، فاخترن الله ورسوله، لكن كيف كان التعامل معهن؟ كان إذا أتى أهله اغتسل مع أهله بعد ذلك يغتسل مع عائشة وأم سلمة، تقول: **"اغتسلت أنا والنبي -صلى الله عليه وسلم- من إناء واحد حتى أقول له: دع لي، دع لي"** هذه كلها من الأمور التي تحبب الزوجين في بعضهما البعض.

والعشرة بالمعروف والتعامل الطيب مع العدو يكسبك محبته فكيف مع الزوجة ومع الزوج؟ ألم يقل الله -سبحانه وتعالى- {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ} [فصلت:٣٤]؟ إذًا هذا مع العدو، فكيف مع الزوجة ومع الزوج؟ يتعامل الزوج مع زوجته بلطف، وبطيب خاطر، وبالكلمة الطيبة، إذا دخل دخل مبتسمًا، وإذا خرج خرج مبتسمًا.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل قبل عائشة -رضي الله عنها-، وربما خرج للصلاة فيقبل عائشة -رضي الله عنها-، هذا كله مما يلطف الحياة الزوجية، وبعض الناس هداهم الله مع أصحابه ومع أصدقائه

قدوة في حسن الخلق، وإذا دخل المنزل كان من شرار الناس، قال: لا بد أن أفرض شخصيتي القوامة بيدي لا بد إن أمرت بأمر لا بد أن يُمتثل، وإذا أمرت بأمر لا بد أن يُنتهى عنه حتى مع أولاده لدرجة بعض الناس إذا دخل من المنزل يستعاذ منه ومن دخوله، يضرب هذا ويصفع هذا، ويلعن هذا، لكن الطريقة الشرعية {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}[النساء:١٩].

تذكر أن هذه وصية رب العالمين لك أيها الزوج، وفي معاشرتك لزوجتك بالمعروف أجر، اللقمة تضعها في فم زوجتك لك فيها أجر، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له في ذلك أجر؟ قال: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهِ وِزْرٌ ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ »[1] كأس الماء تسقيه الزوجة لزوجها لها في ذلك صدقة وأجر، خير نفقة تنفقها المال اللي تنفقه على زوجتك، وعلى ولدك، فهو رصيد من الحسنات.

(١) أخرجه مسلم حديث: ٧٢٠

**الأصل الرابع: قول نبينا -صلى الله عليه وسلم-:** « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »

فأنت مسؤول عن هذه الزوجة، ومسؤول عن هذه الأسرة، ومسؤولٌ عن الأولاد والذرية، وكذلك الزوجة مسؤولةٌ عن الزوج، وعن احتياجاته، وعن بيته وذريته، قال -صلى الله عليه وسلم-: « وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا »[1] وفي رواية عند البخاري كذلك «والمرأة راعيته على بيت بلعها وولده وهي مسؤولةٌ عنهم».

وجاء كذلك في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: « إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ أَحَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[2]

وشدد النبي -صلى الله عليه وسلم- في من يهمل في هذه المسؤولية، قال -صلى الله عليه وسلم-: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ

---

(١) أخرجه البخاري حديث:٨٩٣ ومسلم حديث:١٨٢٩

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" حديث:٤٤٩٢

وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . [١]» فلا بد أن تهتم بهذه الرعية، وبحقوقهم.

وهنا نشير إلى أمرٍ لا بد أن يُنتبه له في الحياة الأسرية وهي: عدم تداخل الأدوار، وليقم كلٌ بدوره، وبالمسؤولية الملقاه على عاتقه، مسؤولية الأسرة عند من؟ الرجل، هو القوامة بيده، والمرأة مسؤوليتها الاهتمام بالزوج والحفاظ على المنزل، وعلى الأبناء، طيب اعكس لي الصورة خلي المسؤولية عند المرأة، تختل الأسرة أم لا؟ تختل ولا بد.

القوامة لما جعلها الله -عز وجل- عند الرجل ليس هذا نقصًا في المرأة، ولكن طبيعة الرجل هي المناسبة لتولي القوامة في المنزل، وطبيعة المرأة هي المناسبة لتولي شؤون المنزل والأبناء، والتربية، فلا نخلط هذا بهذا.

وللأسف بعضهم يريد أن يغير أو يشارك في الأدوار كيف ذلك؟ وهذا ناتج عن تضييع الحقوق، بعض الحالات تقول المرأة للزوج: أنا ادفع في المنزل كما تدفع أنت، في البيت عندنا خادمتين أنت تعطيها راتب، وأنا

(١) أخرجه البخاري حديث: ٧١٥٠ ومسلم حديث: ١٤٢

أعطي الثانية راتب، أنت تأتي بالأغراض في أول الشهر، وأنا آتي بالأغراض في نصف الشهر، أنت تدفع أقساط مدارس الأبناء في المدارس الخاصة وأنا أدفع البقية، وأنت.. تساوي بيننا، فلا تنفرد بالقرار، وتعتبر نفسها ند، وتنظر له بنظرة ندية، وهذا خطأ، فليست العلاقة علاقة ندية بينكم، وإنما علاقة مودة ورحمة مع قيام كلٌ منكم بالدور المنوط به، والمسؤولية المنوطة به، متى ما نظرنا هذه النظرة ستحصل خلافات ولا بد.

جاءت مرة امرأة تقول: أنا أريد أن اتفق مع هذا الزوج على تخصيص جمعة وسبت له، وجمعة وسبت لي أنا، لماذا؟ قالت: الجمعة والسبت يخرج مع أصحابه، الجمعة والسبت الثانية هو يمسك الأولاد وأنا أخرج مع أصحابي، هذه نظرة مبنية على قضية الندية في التعامل، وهذا ليس بصوابٍ أبدًا.

## الأصل الخامس: تعاون الزوجين فيما بينهما من أسباب سعادة الأسرة واستمرارها، وحلول البركة فيها.

تعاون الزوجين مع بعضهما البعض، خصوصًا في موضوع العبادة.

قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}[المائدة:٢].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»[(١)] هذا تعاون في أمور العبادة.

وعن عروة قال: سألت عائشة -رضي الله عنها- ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعمل في بيته؟ قالت: **"يخصف نعله"** هذا من؟ محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- سيد ولد آدم، يخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته، وفي رواية قالت: **"ما يصنع أحدكم في بيته يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيط الثوب، ويرقع الدلو، ويحلب شاته"** كذلك

(١) أخرجه أبو داود حديث:١٣٠٨

أنت تعاونك في أمر المنزل في أمور الطاعة، وفي أمور الدنيا، قد توجد محاضرة، اذهب أنت وزوجك إلى المحاضرة واستفد حتى في أمور المتعلقة بالمنزل، ساعد زوجتك في هذا كما كان يفعل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وهذه المشاركة لها أثرها في التقارب بين الزوجين، وحلول البركة، وحلول البركة هذه من الأمور التي لا يعترف بها الماديون، السبب؟ لأنها غير ملموسة عندهم، لكن نحن نعتقد أن البركة من الله، وأنت لما تزوجت، أو ستتزوج ما هي الكلمة اللي يُقال لك فيها في الزواج؟ مبارك عليك، بارك الله لك، وعليك، وجمع بينكما بخير، ما معنى البركة؟ معناها: دوام الخير، واستمراره، وعدم انقطاعه.

فلما أقول لك: مبارك عليك، أي: أسأل الله أن يديم عليك الخير والبركة في حياتك، التعاون على البر والتقوى بين الزوجين، وعلى تربيتهم لأبنائهم من أسباب حصول الخير في الأسرة، وفعل المعصية من الزوجين، أو أحدهما من أسباب نقص البركة إن لم يكن محقها تمامًا.

## ولذلك نحن ننصح الأزواج عند وجود مشكلة :

أولًا: حاسب نفسك، لعل المشكلة فيك بأن عصيتَ ربك، وجاء عن بعض السلف أنه قال: **"إني لأعرف أثر الذنب في زوجتي ودابتي"**، فحاسب نفسك، وبعضهم قد يتخبى من زوجته عند فعله الحرام، لكن سبحان الله أثر المعصية يؤدي إلى الجفاء العاطفي بين الزوجين، ولو لم تكتشف زوجتك ما أنت تفعله بالسر من ورائها.

اليوم ابتلينا بهذه الهواتف النقالة فيها من الإطلاع على العالم، وربما وسوس الشيطان لهذا الرجل من النظر إلى المحرمات، فاعلم أنك ستجد أثر ذلك في بيتك

أو المرأة كذلك، فنرجع ونحاسب أنفسنا أن الطاعات من أسباب جلب المودة والخير والبركة، والمعاصي من أسباب البعد.

الحجر الأسود كيف نزل من الجنة؟ أبيض من الثلج، ما الذي سوّدته؟ خطايا بني آدم، وهو حجر جماد، فكيف بقلوب العباد؟ تتأثر ولا بد.

## الأصل السادس الذي لا بد أن ينتبه كل من الزوج والزوجة في حياتهم الأسرية: لا توجد أسرة بلا خلاف زوجي

فليس معنى وجود خلاف في الأسرة أن الحياة الزوجية فاشلة؛ لأن الخلاف من طبيعة البشر، وقد وقع الخلاف في بيت أفضل البشر وأكرمهم على الله -سبحانه وتعالى- ومع أفضل النساء نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- حصل خلاف فيما بينهم، ناتج عن أسباب طبيعية في المرأة، وناتج عن الغيرة التي تكون بين النساء الضرائر، وناتج عن مطالبات ببعض الأمور، مثل لما طالبت زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- بزيادة النفقة، ولكن لم يُطلق النبي -صلى الله عليه وسلم- نساءه، ولا اعتبر حياته الزوجية حياة فاشلة؛ لأن هذه طبيعة.

فإذا الرجل طلق زوجته بسبب عدم التوافق كما يُذكر، وعدم التفاهم، طيب لو تزوج الثانية ستكون كم نسبة التفاهم والتوافق بينك وبينها؟ لا يمكن أن تتوافق مع امرأتك، ولا يُمكن أن تتوافق المرأة مع زوجها، لكن

تُوجد هناك نسبة تحمل بين الطرفين، والخلاف وقع حتى بين الصحابة وبين زوجاتهم.

لكن التميز والإبداع حقيقةً هو في طريقة إدارة الخلاف الزوجي، كيف أنا استطيع أن أدير الخلاف الزوجي، وأن أحول الدفة باتجاهي بذكاء وحكمة؟

انظر معي إلى هذا الموقف من النبي -صلى الله عليه وسلم- حصل خلاف بينه وبين عائشة -رضي الله عنها-، فاحتكما إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، فلما جاء أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعائشة: «تتكلمين أم أتكلم؟» فقالت وهي تتعامل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- الآن كزوج، قالت: **"تكلّم ولا تقل إلا حقًا"**.

فغضب أبو بكر -رضي الله عنه- وأراد أن يضربها، فحال النبي -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين أبيها، قال: «ما لهذا دعوناك» ثم انصرف أبو بكر -رضي الله عنه- مغضبًا، انظر الآن لطريقة إدارة الخلاف، فجاء النبي -

صلى الله عليه وسلم- إلى عائشة فقالت: «رَأيتِ كَيْفَ مَنعتُ الرجل عنكِ»(١).

ذهب أبو بكر ساعة ثم رجع فإذا بهما يأكلان عنب ويضحكان، فقال: **"كما أدخلتموني في حربكما فأدخلاني في سلمكما"**، تحول الخلاف إلى نقطة لماذا؟ للائتلاف.

## والخلاف الزوجي له فوائد في بعض الأحيان:

رب العالمين -سبحانه وتعالى- في مشكلة الإفك ماذا قال سبحانه؟ {لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ}[النور:١١]، فمن فوائده:

١- **من هذه الفوائد: أجر الصبر في التعامل مع الآخرين**، التعامل مع أذى الآخرين، قد تؤذيك الزوجة في لفظها، وبقولها، وفي فعلها، صبرك عليها تؤجر عليه، وصبر الزوجة على أذى الزوج تؤجر عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود حديث:٤٩٩٩

**٢- من فوائد الخلاف الزوجي: أنه من أسباب التقارب بين الزوجين في بعض الأحيان**، مثل ما يقولوا في المثل: **"ما محبة إلا من بعد عداوة"** فتشوفهم في صراع، ثم بعد ذلك في تآلف، يشتاق كلٌ منهما للآخر، ولذلك نحن ننصح الأزواج إذا حصل خلاف لا تذهبِ إلى بيت أمكِ وبيت والدك، أبقِ في المنزل، حتى الهجر، من هجر زوجته يهجرها في المنزل؛ لأن قربهم من بعضهم البعض مدعاة لحصول الصلح، ومدعاة لاشتياق بعضهم لبعض، بخلاف لما تذهب إلى بيت والدها وبيت أهلها، وتتدخل القوات الخارجية في هذه المعركة، ويذهب هو إلى بعض أصدقائه ويحصل على دعم لوجستي خارجي تكمل المعركة.

وكلٌ يعطيها جهته؛ ولذلك لو جاءكم رجل يشتكي زوجته، أو امرأة تشتكي زوجها لا تتعامل مع الموضوع بالنظر إلى شخص واحد، والاستماع إلى كلام شخص واحد؛ لأننا لما نحكي ما نحن فيه من مشكلة نحاول أن نسحب السامع إلى جهتنا دون أن نشعر وهذا شيء طبيعي، يقول: الزوجة فعلت وفعلت، وفعلت، فالمستمع يقول: إنا الله وإنا إليه راجعون، أسأل الله أن يعينك، هذا فعل زوجتك؟ صحيح أنك مبتلى، طيب لو جاء ذلك

الرجل سمع للمرأة، قد ينقلب هذا الكلام كله لصالح المرأة وأنكِ أنتِ اللتي الله يعينك مبتلاه؛ ولذلك نصيحتي للآباء والأمهات لا تتأثروا ببكاء ابنتك، المرأة ما عندها سلاح وهي الدموع.

حضرنا مرة دورة عند بعض الأطباء النفسيين وهو يتكلم عن ما يُسمى بلغة الجسد، فيقول: أصعب شخصية في التعامل في لغة الجسد المرأة، أما الرجل: سريع الكشف، والمرأة تكشفه بعبارة واحدة، سريع لو هو يكذب عليها تكشفه المرأة، أما المرأة صعبة؛ فلذلك يحتاج الأب والأم إذا جاءتهم ابنتهما الزوجة هذه تشتكي زوجها أن يتأنوا ولا يتسرعوا في الحكم على الزوج، وكذلك الزوج إذا ذهب إلى أمه، وإلى أخواته فأنصح الأم والأخوات أن لا يتدخلا.

واجعلوا الأمر بين الزوج والزوجة، وأعطوهم رسائل إيجابية في الصلح، أعطوهم رسائل إيجابية بالصبر وتحمل الطرفين، أعطوهم رسائل خاصة بأن الزواج أبدي، وليس الأصل فيه التأقيت، والله تأتينا حالات ما أكمل الزوج والزوجة شهر، وإذا بالأب يطالب بانفصال المرأة، والأم

تتدخل، وربما تعتدي على الزوج بالألفاظ السيئة، وربما يعتدي إخوانها الذكور عليه، وهذا ليس بصواب خصوصًا في أول سنة زواج نحتاج إلى صبر لاختلاف الطباع حتى نعتاد على طباع بعض، هناك زوج كريم، هناك بخيل، هناك زوج هادئ، هناك زوج عصبي، فلا بد أن المرأة تعرف كيف تتعامل مع هذا الطبع، وهذا يحتاج إلى فترة طويلة، أصعب علاج هو علاج السلوك، الانحراف السلوكي مرض يُتعامل معه كيف؟ بالحكمة، وبالتغيير، لكن شيئًا فشيئًا مع الإقناع والحوار.

أما المرض العضوي فبالحبوب والأدوية يُشفى، لكن والله الزوج عصبي، يغضب على المرأة، وتكلم عليها بكلام لا يصلح أن يخرج منه، فتذهب إلى أمه باكية، تقول: لا، والله الكتاب يُعرف من عنوانه، والله ما تصلح له زوجة، طلقها، والله ما ترجع لك البيت، لا غلط، يناصح الزوج، وتناصح الزوجة، ويُعرف كلٌ منهما بطريقة التعامل مع الآخر.

## الأصل السابع: كل مشكلةٍ زوجية ولها حل.

لكن ما الذي يمنعنا من الوصول للحل؟ هوى النفس، وما يُسميه بعضهم اليوم: الكبرياء، كبريائي يمنعني من الاعتذار، والكبرياء كلمة مكونة من كلمتين سيئتين، كبر، ورياء، فتركها أولى.

الاعتذار في الشريعة الإسلامية مرغب فيه خصوصًا من الزوجة، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْعَؤُودُ عَلَى زَوْجِهَا ، الَّتِي إِذَا آذَتْ أَوْ أُوذِيَتْ ، جَاءَتْ حَتَّى تَأْخُذَ بِيَدِ زَوْجِهَا ، ثُمَّ تَقُولُ : وَاللهِ لَا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى »[1].

قلنا: طاعة الزوج ليست لسواد عينيه، وإنما لله، والزوج إذا اعتذر من زوجته ليس في ذلك نقص، يا أم فلان سامحيني أنا أخطأت في حقك، ما فهمتك، هنالك استخدام الأسلوب الطيب في الكلام أثناء الحوار الزوجي، وطبعًا هذا أمر ليس بالسهل، وقت الغضب الإنسان ينسى نفسه، لكن استعمال الحوار الطيب، والكلمة الجيدة، والله لها أثرها، المودة

(١) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" حديث:٤٢٤

والرحمة التي بين الرجل والمرأة، لا تُستخدم فترة الرضا فقط، بل أخص ما يحتاجه الزوجان المودة والرحمة في فترة الغضب، والزعل، والخصومة، لماذا الخصومة تكون بيننا قتالية وعدائية شديدة؟، لماذا ما لا نغلف المشكلة التي بيني وبين زوجتي بغلاف المودة والرحمة في التعامل.

لماذا الطرح هجومي والرد دفاعي؟ خذ مثال: زوجة تريد زيادة النفقة، تقول للزوج: فلان، أبو فلان أنا محتاجة زيادة نفقة، ليش أعطيك زيادة نفقة؟ عندك شيء ناقص؟ أنتِ مسرفة، قالت: وأنت بخيل.

يبدأ عملية التراشق بالكلام، لكن ما رأيك لو كان الكلام بدايةً بطيب الألفاظ، وبكلمات الحب، وبكلمات الرحمة والمودة، طيب أنت تشرح لزوجتك أمر ما فهمتك، ما رأيكم بين اللفظين زوج غير لبق قال: والله أنك أنتِ ما تفهمين، وزوج ثاني فطن قال لها: ممكن أني أنا ما قدرت أوضح لكِ الصورة صح، نفس المعنى ولا لا؟ نفس المعنى، لكن اختلاف الألفاظ.

الزوجة بدل أن تقول لزوجها أنت بخيل، تقول: لعله عندك مشكلة في إدارة الراتب، أو عليك التزامات كثيرة لكن نحن نحتاج، مع الحوار الإقناعي مرة ومرتين وثلاث يؤثر

خرج مرة رجل مغضب من زوجته، وما يفكر إلا في طلاقها، فخرج مرة فرأى يقول: صخرة وعليها قطرات من الماء تنزل على هذه الصخرة، وقد أثرت قطرات الماء على هذه الصخرة، فيقول: هذه القطرات على نظافتها أثرت في هذه الصخرة وأنا لا أستطيع أن أؤثر في قلب زوجتي

ومرة من المرات كنت في مجلس، وكان الكلام عن المودة والرحمة وطرق استجلابها بين الزوجين، فجاءني رجل كبير في السن ما عنده شهادة جامعية ولا غيره، لكن حسن التعامل له دور، يقول: عندي زوجتان، يقول ما تتصل الزوجة وأنا أعرفها أن عندها مشاكل، أول ما أرد عليها أمطرها بوابل من كلمات الحب والشوق والعاطفة حتى تهدأ، ثم أناقش معها المشكلة في وقت آخر.

وهذه نقطة مهمة جدًا لا بد أن نعرفها، احذر من ردود الأفعال، مناقشة المشكلة في تلكم اللحظة قد تزيد الفجوة بسبب ردود الأفعال السيئة، اترك الأمر حتى يهدأ، لا أقول: أترك المشكلة لا تعالجها بل عالجها، لكن بعد أن يحصل الهدوء، الآن في زماننا عندنا واتس آب، وإذا حصل خلاف بين الزوج والزوجة تجد رسائل الواتس آب تنهمر بين الطرفين، وانتبهوا من رسائل الواتس آب.

أول شيء: أنها مجانية.

الشيء الثاني: المشاعر الشيطانية تكتب ولا تُراعى، أنا لما أشوفك وجه بوجه قد استحي، لكن أنت بعيد عني والشيطان هو اللي يمليني فاكتب من الكلام ما قد يحرج، بعض الأزواج وصل به الأمر إلى أن هجر زوجته بالشهور بسبب رسالة، وبعضهم عمل لها ما يُسمى بالحظر، يحظرها من جميع اتصالاته.

الحظر إذا كان له فائدة أتفق مع زوجتك في حال وجود مشكلة نعمل الحظر لبعضنا خصوصًا إذا كانت الزوجة مندفعة، وإذا كان الزوج مندفع

وقد يطلّق، وطلاق الواتس آب سهل، أنتِ طالق يصبح الطلاق، والشيطان يساعد ويساند.

فأوصي الزوج والزوجة أن يبتعدا عن الواتس آب وعن الرسائل النصية حتى تهدأ الأمور، ومع ذكر الله -صلى الله عليه وسلم- {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد:٢٨]، لا تناقش المشكلة آنذاك، ولا تتخذ أي قرار، أهدأ ونفذ، وامتثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لاَ تَغْضَبْ»[(١)] يقول الله -سبحانه وتعالى-: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}[النساء:٣٤] والضرب ذكره الفقهاء من باب كسر كبرياء المرأة، وعنفوانها إذا نشزت، قالوا: لا يكسر عظمًا، ولا يجرح جلدًا، ولا يضرب الوجه، فيتجنب كل هذا، ثم قال: {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا}[النساء:٣٤]، ثم قال: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}[النساء:٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري حديث:٦١١٦

اجعل في قلبك الرغبة في الإصلاح، والزوجة تجعل في نفسها الرغبة في الإصلاح لا الطلاق، والطلاق والله ليس حلًا، الطلاق نهاية المشوار، نهاية الحياة بالكلية، الحل هو الذي يعيد الأمور إلى نصابها، أما الطلاق فينهيها.

والمرأة لا يجوز لها أن تطلب الطلاق لغير سببٍ صحيح وشرعي، قال -صلى الله عليه وسلم-: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ [1]» والرجل العاقل لا يهدد بالطلاق، ولا يجعله على لسانه، ولا يكثر من التعليق، إن خرجتِ إلى بيت أهلكِ فأنت طالق، إن دخلتِ فأنتِ طالق، إن ذهبتي إلى العمل فأنتِ طالق، ثم يأتي يتباكى، ماذا أفعل؟ طلقت وفعلت وفعلت.

## كذلك من أسباب حل المشكلات: تقديم التنازلات بين الطرفين.

لا تكن أنت مستبدًا برأيك وفيه مجال للتنازل، وأن تتسامح مع هذه الزوجة، والمرأة تتسامح مع زوجها، وتأملي يا أختي المسألة قول الله -

(١) أخرجه أبو داود حديث:٢٢٢٦

سبحانه وتعالى-: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَّ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء:١٢٨].

المرأة تتنازل ربما عن بعض حقها لأجل أن تحافظ على هذا الزوج، والزوج يتنازل عن بعض حقه لأجل أن يحافظ على هذه المرأة، والله إن المرأة الصالحة نعمة، والرجل الصالح نعمة للمرأة، فلا تضيع المرأة هذا الزوج، ولا يضيع الزوج هذه المرأة، وليحافظ عليها، فإنها والله أغلى من كنوز الدنيا، والرجل الصالح أغلى من كنوز الدنيا، وقد يكون بينهم مشكلة على بعض الحقوق، فيصبر بعضهم على بعض، ويتنازل بعضهم لبعض.

## الأصل الثامن: الطلاق ليس حلًا.

فلا يلجأ إليه الزوج أو الزوجة إلا بعد استنفاذ كل الطرق للعلاج، وتحول المودة والرحمة إلى عداوة آنذاك لا يُمكن أن يتحقق مقصد الزواج، والله يقول: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ}[النساء:١٣٠].

## الأصل التاسع: اللجوء لله لاستدامة الأسرة، وطرح البركة فيها.

قال تعالى مبينًا صفات عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان:٧٤].

المحبة بيد الرحمن -سبحانه وتعالى- لذلك قال -صلى الله عليه وسلم- عن خديجة: «إني رُزِقت حبها» القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، يقول الله -عز وجل- للنبي -صلى الله عليه وسلم-: {لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}[الأنفال:٦٣].

تأليف القلوب بيد الرحمن، تدعو المرأة، يدعو الرجل اللهم ألف بين قلبي وبين زوجتي، اللهم ألف بين قلوبنا نحن الأسرة.

ومن الأدعية الجامعة في هذا الباب دعاء نذكره في الصباح والمساء، يا حي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

هذه بعض الأصول، أو بعض الأمور المهمة التي نحتاجها في التعامل مع الزوجات، والتعامل مع الأزواج، أحببت أن أذكر بها نفسي أولًا أذكر بكم بهها ثانيًا لعل الله -عز وجل- أن يجعل بها خيرًا للسامع والأسرة، وخصوصًا مع انتشار الخلافات الزوجية وكثرتها، وتداخلات الأهل التي ربما تؤدي إلى زيادة رقعة الخلاف بين الزوجين، فنحتاج إلى مثل هذا التذكير، والله -عز وجل- أسأله أن يوفقنا جميعًا إلى ما يحب ويرضاه، هذا والله أعلم، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

**********

www.baynoona.net

شبكة بينونة للعلوم الشرعية
نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة
الإمارات العربية المتحدة